

«النصرة» تنظيم إرهابي... رغمًا عن الخطيب وخوجته

القول بأنها مستقلة عنه حتى تكون مقبولة في صفوف ما يعتبره الائتلاف قوى الثورة السورية؟ الحقيقة ان لا جديد في الأفق، وإنما تم التأكيد، مرة أخرى، طبيعة العلاقة بين الائتلاف السوري المعارض الذي صنع صنعا في الدوحة وتبنته انقرة، وبين الجماعات الإرهابية التي تشرف عليها تركيا اردوغان. وانه لأمر ذو دلالة كبيرة ان يتزامن هذا التصريح مع ما يتم نشره حول التقارب بل والتنسيق التركي مع دول الخليج في الموضوع السوري، وكيف ان تلك الدول تستعد لتعلن انحيازها المطلق الى جانب جبهة النصرة التي يبدو انها ترأهن عليها لتحقيق لها بعض الانتصارات التي ترغب فيها في سورية بعد ان فشل جل المجاميع الإرهابية التي جندتها لهذه الغاية خلال السنوات الأربع الماضية.

وهذا يعني ان القوى المعادية للدولة الوطنية السورية قد دخلت عملية مراجعة جذرية لحساباتها السياسية والميدانية بعد ان تبين لها، باللموس، ان رهاناتها السابقة، على بعض القوى والجماعات المسلحة في سورية، قد باءت بالفشل الذريع، بفضل الصمود الاستثنائي للشعب السوري الذي قاوم كل الإغراءات التي قدمت له، في مختلف المجالات، لخيانة وطنه، وقرر تحمل كل تبعات هذا الموقف على مستوى أمنه الشخصي والجماعي لأنه بذلك فند كل الدعاوى المغرضة بأنه يمكن شراء ذمم الوطنيين السوريين، بفأض إيرادات أبار النفط والغاز في منطقة الخليج العربي أساساً.

ويبدو انه في سياق هذه المراجعات الجذرية يدخل التقارب التركي، السعودي، والتنسيق بين انقرة والرياض والدوحة في إدارة الحرب على سورية، بغاية تحقيق بعض المكتسبات الميدانية والسياسية في أفق مفاوضات دولية بمشاركة إقليمية محتملة حول الأزمة السورية لتحديد ما تسميه بعض الأطراف الإقليمية والدولية طبيعة المرحلة المقبلة في سورية، منعمدة الإشارة الى انها مرحلة ما بعد نظام الرئيس الأسد، على حد قولها، في تجاهل تام، ومتعمد، بالتاكيد، لدروس الحرب الدائرة في سورية تحت هذا العنوان، بالذات، منذ أكثر من أربع سنوات. وفي مقدمة هذه الدروس ان التوصيف الذي تطلقه تلك القوى على نظام الحكم في سورية سطحي وتبسيطي الى ابعد الحدود، وهذا ما أدى الى سقوط كل الرهانات على انهياره وسقوطه خلال الأشهر الأولى من اندلاع الأحداث كما وعدت الجماعات المسلحة وداعموها الاقليميون والدوليون الذين لم يدخروا فعلاً يعتقدون انه سيبرع من نهاية السلطة السياسية في سورية، الا واقترفوه. وها هم الآن يلجأون الى احياء الوعود إياها ونشرها على أوسع نطاق، مستندين في ذلك الى تحقيق بعض الانجازات العسكرية في عدد من المناطق حاولوا تصويرها بأنها قاصمة الظهر بالنسبة للنظام السياسي السوري.

صحيح ان قوى التطرف والإرهاب قد حققت الكثير من الانجازات في مجال تدمير البنى التحتية للبلاد، ان جاز لنا اعتبار هذا إنجازاً في الواقع، وان دمشق قد فقدت السيطرة مؤقتاً على عدد من المناطق التي احتلها تنظيم «داعش» او جبهة النصرة وغيرها من الجماعات المقاتلة نيابة عن قوى إقليمية لم تتردد في الكشف عن وجهها تحت شعارات مختلفة هدفاً تدمير الدولة السورية وفرض اجندياتها السياسية والاستراتيجية على قياداتها، بما يخدم مشروع تفكيك المنطقة وتمكين اسرائيل من مزيد من عناصر القوة، غير ان كل ذلك لا يحجب، بالمطلق، كون الجيش السوري ومختلف القوى التي تدعمه داخلياً وإقليمياً لا يزال ممسكاً بزمم المبادرة العسكرية بالمعنى الاستراتيجي.

لكن يبدو ان القوى المعادية جاهزة ومستعدة دائماً لقلب الحقائق وتصوير ما تحققه من اختراقات أمنية او عسكرية، هنا وهناك، كما لو كانت إنجازات استراتيجية منقطة النظر، في وقت تعتبر فيه ان ما يحققه الجيش السوري من إنجازات هو مجرد اعمال من اجل رفع معنويات الجيش والمؤيدين للسلطة، دون ان تتنبه تلك القوى الى انها تقع في تناقضات سخيفة بسلوكها هذا. ولعل كل ما نسجت من أساطير حول الموقع الاستراتيجي لجسر الشغور عندما سيطر عليها، تنظيم جبهة النصرة الإرهابي لم يلبث ان تحول عندما عاينت تلك القوى جدية تعامل الدولة مع هذا الموقع وإصرارها على تحريره من الجماعات المسلحة الى مجرد محاولة من النظام رفع معنويات جنوده من خلال العمل على استعادة جسر الشغور.

* كاتب مغربي

حسن السوسي*

«جبهة النصرة» تنظيم إرهابي. لا غبار على هويته الفكرية والسياسية وممارساته الميدانية. فهو فرع لتنظيم «القاعدة» الذي لا ينفي الانتماء إليه بل يفخر بكونه فرعاً له في الشام. وتنظيم «القاعدة» تنظيم إرهابي في عرف كل العقلاء السياسيين حتى داخل منظومة ما يسمى الإسلام السياسي، وبطبيعة الحال، فإن ما يسري، من أوصاف وتعريف، على الأصل، يسري، ويصح قوله، الى حد كبير، في حق الفرع. ولا يغبر من هذه الحقيقة كون أفراد الفرع ينتمون الى هذا البلد او ذاك، لأن الانتماء الجغرافي ليس علة نعت التنظيم بالارهاب، بل هي العقيدة التي يؤمن بها، ورؤيته الى ما يخالفه من أفكار وعقائد يتبناها جمهور واسع من الناس، كما تدافع عنها تيارات وقوى سياسية تنهل من مناهل فكرية وإيديولوجية متباينة. إذاً، فالعلة تكمن في هذا النمط من الفكر التكفيري الذي يقضي عقائدياً، ويحاول ان يحرم من لا يشاطرونه العقيدة والمذهب ونمط التفكير، من الحق في الحياة او إخضاعه الى واقع الاسترقاق الواضح والصريح، كما تكشف للعالم اجمع من كيفية التعاطي مع كل من تمت السيطرة على مدنتهم وقراهم من قبل تنظيمي «داعش» و«النصرة» - ومن ينسج على منوالهما الفكري والايديولوجي من منظمات مسلحة تحت مسميات عديدة في سورية. والعلة تدور مع المعلوم وجوداً وعمداً، كما لا يخفى على اي احد من علماء الأصول في الماضي والحاضر على حد سواء.

لقد سبق لرئيس الائتلاف السوري المعارض السابق معاذ الخطيب ان رفض تصنيف الولايات المتحدة الاميركية لجبهة النصرة التي تقاوم في سورية ضمن المنظمات الإرهابية، وفق القوانين الاميركية في خطاب شهير له بمؤتمر أصدقاء سورية الذي انعقد في مدينة مراكش المغربية امام ذهل مختلف الأوساط السياسية والدبلوماسية الدولية، بما فيها تلك التي تؤيد الحرب على سورية تحت مسمى دعم الثوار الذين يرغدون في إسقاط النظام السوري وإزاحة الرئيس بشار الأسد عن قمة هرم السلطة السياسية في البلاد. ذلك ان الجميع يعلم، ولا يفترض في الخطيب ان لا يعلم، ان جبهة النصرة هي الذراع العسكرية لتنظيم القاعدة في سورية، وأنها حظيت وتحظى دائماً، بدعم ايمن الظواهري زعيم القاعدة الذي خلف اسامة بن لادن في منصبه على رأس التنظيم. ولا يعود هذا الذهل الى عدم معرفة من هي جبهة النصرة او ان الخطيب قد كشف جديداً في حديثه عنها، وإنما الى نوع من اتفاق «جنتمان» بين مختلف القوى المناهضة للدولة الوطنية السورية وتنظيم القاعدة الإرهابي بعدم الكشف عن أي

”

يدخل التقارب التركي ـ السعودي بغاية تحقيق، مكتسبات ميدانية وسياسية

علاقة من قريب او بعيد مع الجبهة او التعبير عن اي تعاطف معها، لأن ذلك سيكشف حقيقة زيف شعارات الحرية والديمقراطية التي ترفعها القوى المعادية للدولة. لقد كان حال لسانه يقول: ما يهم ليس هو إعلان تأييد ما تقوم به جبهة النصرة في سورية ما دامت تنفذ الدور المنوط بها، وتساهم في تحقيق الغاية من ادخالها الى سورية وهو تسريع تدمير كل البنيات التحتية والمؤسسات الوطنية السورية، ونشر الرعب والارهاب في مختلف أوساط الشعب السوري، بهدف دفع أوسع الفئات الممكنة الى الالتحاق بصفوف الجماعات الإرهابية المسلحة لمقاتلة للنظام او الالتحاق بصفوف المهجرين في دول الجوار لتشكل وسطاً ملائماً لبث الدعاية التكفيرية وتجنيد المقاتلين للالتحاق بصفوف الإرهابيين في مختلف ميادين وجبهات القتال، او في اقل تقدير ان تنفض من حول الدولة فارضة عليها عزلة حقيقية، ولا تعمل على دعمها وحمايتها ما يطيل أمد تحملها وصمودها، وكما بينت التجربة الملموسة للسنوات الماضية من الحرب على سورية.

فهل يحمل تصريح رئيس الائتلاف الحالي خالد خوجة جيداً بخصوص الأزمة السورية وتحالفات القوى المنخرطة فيها، عندما اعلن ان ما يحول دون التحالف الوثيق مع جبهة النصرة هو كونها قد اعلنت من قبل ارتباطها بتنظيم القاعدة وانه يكفي

على زمن الوحدة بين مصر وسوريا عام 1959. وأعادوا كسوة الكعبة المصنوعة في مصر. ورفض آل سعود أن يحج أهالي مصر ما لم يدفعوا عملة صعبة إما جنيهات أسترلينية أو دولارات أميركية. وما فعله آل سعود مع أبناء مصر فعلمه مع أبناء اليمن، فقد منعوهم من الحج حين قامت الثورة ضد حكم الإمام أحمد بن يحيى الدين. أما أهالي الحجاز فقد مقتوا الحكم السعودي منذ بدايته. وامتنع الكثير من الحجاج في بداية الحكم السعودي عن أداء فريضة الحج ست سنوات، مقسمين أن لا يحجوا حتى يطهروا قبلتهم من الرجس. أما أهالي مصر والشام واليمن فقد امتنعوا عن الحج كلياً طيلة ست سنين.

وفي عام 1226هـ بعث محمد علي ابنه طوسون على رأس حملة عسكرية إلى الحجاز بعد أن ضغط أهل مصر على حكاهم الأتراك، فاستولت الحملة على ينبع وحررتها في نفس تلك السنة. ولكن طوسون لم يفلح في انجاز كل مهمته (...) فبعث محمد علي ابنه إبراهيم باشا، في سنة 1228هـ. فتمكن من تحرير مكة والمدينة المنورة والطائف من رجب السعودية.

ويقول السيد دحلان في تاريخه: «لقد حاول سعود هذه المرة أن يخادع (...) فأرسل إلى محمد علي باشا طالبا الصلح وأن يفقدي بالمال عثمان المصافحي عامله على الطائف. ولكن مساعي الصلح لم تتم حيث اشترط محمد علي على رسول سعود الشروط

التالية:

أولاً: أن يقوم سعود بدفع كل المصاريف التي أنفقت على الحملة العسكرية.

ثانياً: أن يقوم سعود برد كل المجوهرات والأموال التي كانت بالبحريرة النبوية.

ثالثاً: أن يقوم سعود بدفع الدية لأبناء الحجاز ويحضر الذين قتلهم.

رابعاً: أن يحضر سعود، ويسلم نفسه، ليحاكم على ما ارتكبه من جرائم.

وبالطبع لم يفعل سعود هذا. وبقي في الدرعية لا يخرج منها، ويحشد جنده للدفاع عن نفسه لأنه آمن بأن لا مناص له من الموت. ولقد أصيب سعود بإسهال شديد وحكى (وهو المرض نفسه الذي أصيب به جده محمد بن سعود حينما حاصره أهالي نجران من قبل)، فمات سعود قبل وصول حملة التحريم إلى الدرعية في 7 ربيع الثاني عام 1229هـ. وتولى ابنه عبد الله الحكم من بعده، ووقف إلى جانبه شركاؤه آل الشيخ.

ثم ثار أبناء عمان وقتلوا والي آل سعود، ووقف علماء الدين الصالحون في القصيم ونجد يعلنون براءتهم من جرائم آل سعود وآل الشيخ عبد الوهاب ويحملون هاتين الأسرتين تبعاً ل الجرائم (...) أما آل الشيخ فقد وقفوا بدافعون عن أنفسهم ويدفعون هذه التهمة عنهم، ويشتمون علماء نجد والقصيم، ويتهمونهم بمؤالة المصريين وينسبون كل ما وقع من جرائم فتن وحن إلى «الذنوب والتقصير في دين الله». ولهذا ابتلاهم الله بنشئ المحن». وأما حملة تحرير الجزيرة فقد سارت حتى وصلت الدرعية. وألقي القبض على عبد الله بن سعود، وأبعد إلى مصر في عام 1234 هـ. وقتل عدد من آل الشيخ الذين أجزوا. وبذلك انتهت الفتنة السعودية إنما إلى حين، لأن هذه الشجرة السعودية الخبيثة لم تستأصل من جذورها بعد، فقد تركت بعض الجذور التي نمت من جديد، بعد أن عاد جيش مصر إلى بلاده تاركاً الجزيرة العربية.

* (مقتطفات من كتاب «تاريخ آل سعود» لناصر السعيد)

(نسخة من الكتاب متاحة على الموقع)

بدأ:

آل سعود ياكل بعضهم بعضاً:

تاريخ الدولة السعودية الثانية

الأولى



عادة قديمة جارية، اتخذت لتجميع الناس والحجاج حولها متكئين متحدين ضد قطاع الطرق، ولصد العدوان». فابلغ سعود أهالي مصر والشام قائلاً: «إنكم يا أهالي مصر والشام إذا فعلتم ذلك عبدي هذا المحمل (محمل كسوة الكعبة). وإني سأكسر المحمل الشامى والمصري. وكذلك، يا أهالي مصر والشام، لدي شروط أخرى عليكم:

أولاً: لا تحلقوا لحاكم. وثانياً: لا تذكروا الله بأصوات عالية، أو تنادوا بقولكم «يا محمد». وثالثاً: يدفع كل حاج منكم جزية قدرها عشرة جنيهات من الذهب. ورابعاً: يدفع أمير الحج المصري والشامى كل منهما عشر جواري وعشرة غلمان لونهم أبيض كل سنة.

ويقول السيد دحلان في تاريخه: «إن سعود قد أحرق المحمل المصري والشامى. وأمر منادياً ينادي بالناس في الحج بأن لا يأتي أي إنسان في العام الآتي للحج، من أي جهة من العالم، وهو حليق اللحية». فراح الحجاج المصريون في عام 1220هـ غاضبين ولكنهم غير أبهين بطلبات سعود الأول المجنونة.

وفي عام 1221هـ كتب سعود الأول إلى أمير الحج الشامي، وكان هذا قد وصل بالحجاج إلى قرب المدينة المنورة، يقول له: «لا تدخل الحجاز إلا على الشروط التي شرطناها في العالم الماضي». فرجع حجاج الشام تلك السنة من غير حج، أما حجاج مصر فقد امتنعوا من أنفسهم ولم يحجوا تلك السنة على مضض، ما جعلهم يتضجرون غيظاً على الحكم السعودي...

ويقول العلامة ابن بشر في تاريخه عن جرائم 1221 هـ السعودية: «إن سعوداً حشد جيوشاً عظيمة قرب المدينة المنورة، وأمرهم أن يمتنعوا الحجاج الآتين من مصر والشام. فرجع المحمل الشامي إلى وطنه، وكان أميره عبد الله باشا العظم. ثم بعد ذلك قام سعود بإبعاد آلاف العرب من مكة، ومعظمهم من أبناء الحجاز نفسها واليمن والعراق. وكذلك سافر إلى المدينة وفعل فيها مثملاً فعل في مكة. وقد هاجر عدد لا يحصى من أبناء الحجاز إلى مصر والشام واليمن والسودان وتركيا وأماكن شتى من العالم. وقد أغضب هذا الفعل أهالي نجد وعلماؤها الصالحين من غير آل الشيخ طبعاً».

وما فعله سعود الأول بالحجاج يذكرنا بما تفعله بقية الأسرة السعودية الحالية بالحجاج أيضاً. فقد أعادت الحجاج السوريين